كيف السبيل إلى فهم القرآن الكريم

الدكتور
عبد الوهاب إسماعيل الأعظمي

كلية العلوم الإسلامية- جامعة بغداد
قسم الشريعة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمد ربنا كما علمتنا أن نحمد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحبابه ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

فإن الله ﷻ يوم خلقنا لم يخلقنا سدى ولم يتركنا عبثاً، ولم يدعنا نتخبط في غير هدى، فلم يزل يرعانا بلطفه وكرمه، ويهدينا بواسطة رسله وكتبه أمه بعد أمه وجيلاً بعد جيل، حتى شاء لتلك السلاس المباركة أن تتوقف ولتلك الكتب والصحف أن تختم. طبعها الله سبحانه بطابع الكمال والتمام وتوجها بتاج النور، فكان ختامه مسكاً ليس له نظير. ومن الرسل سراج منير ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[1]

ومن الكتب ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2] ويمثل هذا الاختيار ثم اختيار الأصحاب والأنصار، فكانوا أعواناً وحماة فصاروا النور الذي أوتوه والكتاب الذي ورثوه حتى أقبلوا عليه تأليف لآياته متأملين، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، ووقفوا عند حدوده حتى أصبح أحدهم قرآناً يمشي على الأرض، إذا أبصرته قلت هذا هو الإسلام.

ما كانوا هكذا إلا بعد أن فهموا كتاب الله وادركوا عظمته وعرفوا الغاية التي من أجلها أنزله الله ﷻ فاحسنوا العمل والتعامل مع القرآن.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٦.

(٢) سورة هود آية ١.

فلما علم الله صدقهم في الفهم والعلم أنجز لهم ما وعدهم ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾[1]

ثم مضوا في حياتهم دون أن يغيروا من منهج الله ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[2].

فيا ترى هل تعاد مثل هذه النماذج الإيمانية فينا الآن؟ أم اصبح هذا مستحيلاً. هذا تصور قد تعود إذا كنا على آثارهم عاملين بالقرآن كما عملوا أو تعاملوا ولله در من قال:

إن لم تكونوا مثلهم فتشبهوا بهم إن التشبه بالكرام فلاح

ومن خلال هذا البحث البسيط سنفهم هذا. فقد جعلت في الفصلين وفي كل فصل ثلاثة مباحث وجعلت عنوانه على صيغة سؤال " كيف نفهم القرآن" وأجابت بما فتح الله علي وكان فضل الله علي وعلى أمثالي عظيماً.

اسأله تعالى التوفيق والسداد بالرأي آمين.

---

(١) النور: ٥.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

الفصل الأول: فهم القرآن

المبحث الأول: كيف نفهم القرآن العظيم

والإجابة في داخله بما فتح الله علي، وكان فضل الله علي وعلى أمثالي عظيماً، أسأله تعالى التوفيق والسداد في الرأي.

الفهم:

وهذا هو الأساس الأول، ذاك لأنه المقصود الأكبر من القرآن هو فهمه ومعرفه مراد الله ﷻ بآياته. وهذا ما اشارت إليه الآيات القرآنية. ومنها قوله ﷻ ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(١).

ومن هذا يؤخذ الفهم مفتاح العمل. وإذا تصفحنا القرآن لوجدناه قد اشتمل على أحكام ونظم ومبادئ على مختلف النواحي الحياتية والسياسية والجهادية والاقتصادية وأنه حوى بين دفتيه من الجزاء في الحياة والخلود في العالم الآخروي حيث الثواب والعقاب. ومن هنا ندرك أهمية الفرد وضرورة بذل الجهد وأمعان النظر من أجل الكشف عن دقائق القرآن واسراره لما أودع الله فيه من كل شيء كما قال الله ﷻ ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(٢)،

وقال أيضاً ﷻ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(٣) ولله در من قال:

---

(١) سورة ص آية ٢٩.

(٢) سورة الأنعام آية ٣٨.

(٣) سورة النحل آية ٨٩ .

كتاب الله يحوي كل شيء وسنه أحمد المختار شرحه

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى (ليست تنزل في أحد من أهل دين الله نازله إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها)[1].

وقال الأمام القرطبي (أن القرآن حوى جميع العلوم فمن قرأه قراءة تدبر وتفهم وعمل بمقتضاه فقد حصل على الغاية القصوى التي ليس وراءها مرمى[2].

وقال الله ﷻ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[3].

وهنا سؤال يطرح. ماذا يعني بفهم القرآن وهذا ما سنبينه على شكل نقاط:

أ- فهم مفردات الآية: وهذا آمر هام وهو متعين في حق كل قارئ وإلا كان كالببغاء يردد ما لا يفقه. ويمكن الوصول إلى هذا عن طريق الرجوع الى بعض كتب التفسير الميسرة كزبدة التفسير من فتح القدير[4] وصفوة البيان لمعاني القرآن.

---

(١) وقد اختلف العلماء في المراد بالكتاب على قولين: الأول: اللوح المحفوظ المشتمل على جميع أحوال الخلق بالتفصيل التام. والثاني: القرآن الكريم: أي تركنا شيئاً من آمر الدين والدنيا، بل وغير ذلك مما يحتاج الخلق إلى بيانه وإلا وقد دللنا عليه في القرآن أما دلالة مبينه مشروحه، وأما مجمله يتلقى بيانها من النبي ﷺ ينظر تفسير الماوردي ج٢ ص١١٢، تفسير الرازي ج١٢ ص ٢٢٥، وإحياء علوم الدين/ الغزالي .

(٢) ينظر التفسير ص ١.

(٣) سورة البقرة آية ١٢.

(٤) مؤلفاته محمد سليمان الأشقر.

ب- الفهم الدقيق: وللوصول إلى معرفة مقاصد القرآن في اعجازه ودلائله وأغراضه وهذا بينه الدكتور عبد الله دارزه -رحمه الله- في كتابه القيم (النبأ العظيم) تحت فقره القصد في اللفظ[1]. فكتاب الله تعالى كما قال ابن عطيه في تفسيره لو نزعت منه لفظه ثم أدبر لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد[2] بل هو كما وصفه الله تعالى إذ يقول ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3].

ويمكن لنا أن نقسم هذا النوع من الفهم إلى قسمين:

أولاً: التعميق في فهم ظواهر الآيات للوقوف على ما أراد الله تبارك وتعالى لعباده مما تستقيم به أمر حياتهم وذلك باكتشاف ما تشير إليه الآيات الكونية وما ترمي إليه سبيل الانتقاء بهذا الكون البديع.

ثانياً: التعمق في فهم مواطن الآيات للوقوف على أسرار القرآن وما أودع الله فيه من معاني والإشارات واللطائف والحكم مما يرقي النفس إلى مقام الأنس ولا عجب في هذا ولا غرابه، وكتاب الله تعالى بحرزها لا شامل له.

يقول الإمام الغزالي -رحمه الله-: أعلم من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وقد يكون مصيب لأنه يخبر عن نفسه ولكنه قد يكون مخطئ في الحكم يرد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه.

---

(١) للشيخ حسنين محمد مخلوف.

(٢) ص ١١٢.

(٣) سورة هود آية ١.

إذ أن الأخبار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم وهذا ما بينه الإمام علي ﷺ إ يقول: إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن فأن لم يكف سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم[1]. وما نوه به عبد الله بن مسعود ﷺ قوله (من أراد علم الأولين والآخرين فليشر القرآن)[2].

وقد تكون هناك قلوب صافية حية تتعرف على تلك الإشارات[3]. وأما إذا كان العكس ذلك ظله في القلب فتلك هي تحجب الفهم كالاصرار على الذنب واتباع الهوى هذا بعض ما ذكره الأمام الغزالي[4]والسيوطي في الإتقان[5].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في مواضع متعددة رقم ٣٠٤٧ في كتاب الجهاد باب فكاك الأسير ٦/ ٢٠٥ ونص الحديث (لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلاً من القرآن وما في هذه الصحيفة: قيل: وما في الصحيفة: قال: العقل وفكاك الأسير لا يقتل مسلم بكافر....).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير برقم ٨٦٦٦ والبيهقي في شعب الإيمان برقم ١٩٦٠.

(٣) ويسمى هذا النوع من الفهم بالتفسير الاشاري أو الصوفي ولهذا اللون من التفسير أدلته وشروطه ونماذجه وهي مستوفاة من كتب التفسير وعلوم القرآن ومناهج المفسرين. ينظر الاتقان ٢/ ١٢٨٤، مناهل العرفان للزرقاني ٢/ ٨٧، أصول التفسير وقواعده ص ٢٠٥، التفسير والمفسرين ٢/ ٣٥٢ فما بعدهم.

(٤) ينظر إحياء علوم الدين ج١/ ٢٨٤.

(٥) النوع – شروط المفسر وآدابه– ج٢/ ١٧٦.

المبحث الثاني: مفتاح الفهم الصحيح

لا بد أن نعلم أن مفتاح هذا الفهم إنما هو التدبر. أجد الانصاف بالشروط اللازمة التي سبق أن لمحا إليها:

وقد أرشد القرآن إلى آيات كثيرة إلى أعمال بفكر وامعان النظر مخاطباً أهل الذكر وذوي الألباب والأبصار، ومن ذلك قوله ﷻ ﴿فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾[1].

وقوله ﷻ ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[2]

وقوله ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[3]

وقوله ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الاوَّلِينَ﴾[4]. والمراد بالتدبر هذا التفكر التفهم وبذل الجهد في ذلك للوقوف على مغزى الآيات ومقاصدها. وأدراك مهامها وأهدافها فهي توجيهات حية كما عبر الكاتب الإسلامي الكبير الشهيد سيد قطب- رحمه الله- إذ يقول (تنزل اليوم لتعالج مسائل اليوم ولتنير الطريق إلى المستقبل ولا ريب أن من يقرأ القرآن بهذا الوعي سيجد عندما يريد، وسيجد فيه عجائب لا تخطر على البال الساهي سيجد كلماته وعباراته وتوجيهاته حية تنبض وتتحرك وتشير إلى معالم الطريق[5].

---

(١) سورة النساء آية ٧٨ .

(٢) سورة محمد ﷺ: ٢٤

(٣) سورة القمر: ١٧

(٤) سورة المؤمنين آية ٦٨.

(٥) ينظر تفسير في ظلال القرآن ١/ ٦١ .

المبحث الثالث: نماذج في طريق الفهم الصحيح

في هذا المبحث نختار من القرآن الكريم كلمتين كنموذج لما نحن بصدده من التدبر لتفكر فيها وفيما ترميان إليه ونحن نعيش في هذا العالم وهما النفس والقوة.

أولاً: النفس

فقد ذكر الله ﷻ النفس البشرية ودعا إلى ما الخلق والتفكير فيها فقال ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1] بل وأقسم بها سبحانه وذكرها تفخيماً لها فقال ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾[2]، حقاً النفس البشرية الصنع والتكوين والتي أعجز العقلاء والفلاسفة فهم أسرارها والوقوف على كنهها قد خلقها الله تعالى سوية وجعل لها القوة ويصبح معها اكتساب التقوى واكتساب الفجور وأعلمها طاعاتها ومعصيتها وعرفها طرق ذلك، هذا أمر ظاهر من الآية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[3] فأن النفوس إذا تزكت انضبطت واستقامت على هدي الله تعالى دون إفراط أو تفريط أو لا نرى أن الآية الكريمة تشير إلى أن الفلاح كل الفلاح في تزكية النفس وأن تدبر هذه الآية ومعاودة تلاوتها بفتح أمامنا آفاقاً من المعرفة ويكشف عن أسرار متعددة خاصة نحو إيجاد الشخصية الإسلامية اليقظة التي تعمل على تكوين المجتمع الواعي الذي ينشده القرآن وأن تدسيه النفس[4]. والإخلال

---

(١) سورة الذاريات آية ٢١.

(٢) سورة الشمس آية ٧ .

(٣) سورة الشمس آية ٩ – ١٠ .

(٤) التدسيه: الاخفاء. قال ابن قتيبة في تفسيرها دس نفسه أي أخفاها بالفجور والمعصية وقال ابن العربي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم. ينظر تفسير غريب القرآن القرطبي ٢٠/ ٧٧، لسان العرب ١٤/ ٢٥٦، المعجم الوسيط ١/ ٢٨٤. مادة : دسا.

بسبل تزكيتها هو الشر المستطير الذي أودى بالأمة إلى الهاوية فالآية الكريمة إذا تهدف إلى مقصد عظيم غفل عن فهمه الكثيرون.

ثانياً: القوة

وأما القوة التي دعانا إلى تكوينها سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1] فقد ذهب العلماء في تفسيرها مذاهب أظهرها أن المراد بها الرمي لما صح عن النبي ﷺ أن من قال على منبره ثلاثاً (إلا أن القوة الرمي)[2] ولو حملنا فقوله ﷺ هذا على حصر لمعنى الكلمة وتحديد لبيان المراد منها لما جاز لأحد أن يعمل فكرة فيها إذ بيان رسول الله ﷺ.

ولكن كثيراً من العلماء يرى ان النبي ﷺ إنما إراد بيان أهم أنواع الأسلحة وأن قوله هذا نظير قوله ﷺ(الحج عرفه)[3] فهذا لا ينفي اعتبار الأحرام والطواف وغيرها من أركان الحج كذلك فأن ذكر الرمي لا ينفي اعتبار أي نوع من أنواع الاسلحة يضاف إلى هذا فأن إرادة العموم ظاهرة من السياق حيث جيء بـ "من" في بيان القوة المفيدة لجنس ما يتقوى به في حرب العداء مستمر والحرب ضد الاسلام شرسة وأن الله تعالى أمرنا أن نحسب لذلك حسابه وأن لا نتوانى في هذا

---

(١) سورة الانفال آية ٦٠.

(٢) أخرجه المسلم من حديث عقبة بن عامر –رحمه الله– برقم ١٩١٧ في كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحق عليه ٣/ ١٥٢٢ ينظر سورة تفسير التوبة لابن حاتم الرازي ١/ ٤٧٧.

(٣) أخرجه النسائي في فرض الوقوف بعرفه من حديث عبد الرحمن بن عمير ﷺ ٥/ ٢٥٦ والترمذي برقم ٨٨٩ في كتاب الحج ٣/ ٢٣٧ وأبو داود في المناسك برقم ١٩٤٩ باب من لم يدرك عرفه ٢/ ١٩٦ والحاكم في كتاب التفسير وقال هذا حديث صحيح ٢/ ٢٧٨.

الجانب مهما استطعنا اليه سبيلاً أولاً كانت الأمة آثمة ومنحلة بشـــروط النصـــر والتمكين وأنا نرى اليوم الحملة المستمرة ضد أي بلد إسلامي فلتسمع مـــن فـــم العدو ما يقول: ليست الشيوعية خطراً الاسلامي فالمســـلمون يملكـــون تراثـــهم الروحي الخاص بهم فخم جديرون بأن يقيموا قواعد عالم جديد ثم يقول: أن العـــالم الاسلامي عملاق مقيد عملاق لم يكتشف نفسه حتى آلان إلى أن يوقل فنعط هـــذا العالم ما يشاء ولنقوس في نفس الرغبة في عدم الانتاج لا ينهض[1] لـــذا مفـــان الله تعالى ينبهنا إلى خطر اعدائنا أو يدعونا إلى ضرورة التصدي لمكرهـــم ودسائســـهم وهكذا يتضح لنا أن ثمة ارتباطاً وثيقاً بيد النفس والقوة .

(١) ينظر كتاب: قادة العرب يقولون: دمروا الاسلام وأبيدوا أهله ٤٠ – ٤١.

الفصل الثاني: التعامل مع القرآن الكريم

المبحث الأول: أهمية العمل

وهو لب من لباب التعامل مع القرآن الكريم وثمرته اليانعة فات قطافها بـار ما تقدم من جهد وضل وعلى هذا الأساس المعول عليه وبه يكون السبق والفـوز يوم القيامة.

وقد بين النبي ﷺ أهمية العمل بكتاب الله تعالى ونوعه بمكانتـه فقـال ﷺ (المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمـن الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثـل المنـافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر)[1] وبين أيضاً ﷺ يكـون حـال الذيـن يكتفون بقراءته وأعلم بسوء طويتهم وأنهم من اخلف السيء حيث قال ﷺ (يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيـاً ثم يكون خلف يقرأون القرآن لا بعـد تراقيهم ويقـرأ القـرآن ثلاثـة مؤمـن ومنافق فاجر)[2].

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري واللفظ له برقم ٥٠٥٩ في كتاب فضائل القرآن باب اثم من رأى القرآن ٩/ ٥٤٩ وأخرجه مسلم برقم ٧٩٧ في كتاب صلاة المسافرين باب فضيلة حافظ القرآن ١/ ٥٤٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حدوة عن أبي سعيد الخدري ﷺ ٣/ ٣٨ وزاد على هؤلاء الثلاثة فقال المنافق كاف به والفاجر يتأكل به المؤمن يؤمن به وأخرجه الحاكم وفي أوله: سمعت رسول الله ﷺ هذه الآية (فخلف من بعدهم خلف) سورة مريم آية ٥٩ وكتاب التفسير ٢/ ٤٧٤.

وقال أيضاً ﷺ: (إلا أخبركم بخير الناس وشر الناس: أن من خير الناس رج لا عمل في سبيل الله على ظهر فرس أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت. وأن من شر الناس رج لا فاجراً يقرأ كتاب الله لا يدعو بي شيء منه)[1].

وقد تواترت عن السلف الصالح ﷺ مراعاة هذا الجانب وإعطائه الأولوية ومنهم ابن مسعود ﷺ يقول: (أنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن وسهل علينا العمل به وأن منت بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به، وقال: ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة الحدود).

وقال ابن عمر ﷺ: (كان الفضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة يقرؤون القرآن منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به).

وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذي كانوا يقرأوننا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملون بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً[2].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيها والعمل بهن[3]. وعنه ﷺ ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس يفطرون ويحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً

---

(١) أخرجه الأمام أحمد ٣/ ١٢٣٧ ٤و٥٨ وفي بعض الروايات لا يدعو بدل يرعو بي. واخرجه الحاكم وقال هذا حديث صحيح الاسناد، ووافقه الذهبي في كتاب الجهاد ٢/ ٦٧ وللحديث شواهد تقويه فضائل القرآن لابن كثير ص١٢٨.

(٢) أخرجه الطبري في مقدمه تفسيره ١/ ٣٦.

(٣) المصدر السابق ١/ ٣٥ ينظر معالم في الطريق للشهيد سيد قطب جيل قرآني فريد محمد قطب واقعنا المعاصر ص ٣٠، كيف يتلقى القرآ، ص ٢٧- ٣٠.

محزوناً حكيماً عليماً سكيناً وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون جافياً ولا غافلاً ولا صاخباً[1] ولا صياحاً ولا حديداً[2].

ونختم هذا المبحث بكلمة الإمام البخاري -رحمه الله- إذ يقول: فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن فكان كالمراة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح فيه مما حذره مولاه حذره وما خوفه به من عقابه وما رغب فيه مولاه رغب فيها ورجاه[3].

المبحث الثاني: العلم في القرآن

نستطيع ان نقسم العمل بالقرآن إلى قسمين مهمين:

القسم الأول: عمل ذاتي: وهو الذي يقوم على امتثال الأوامر واجتناب النواهي ومراعاة الأخلاق والآداب أو أخذ النفس ومجاهدتها للتحقق بذلك ويتفرع إلى فرعين:

أ- العمل بالواجبات والكف عن المحرمات مع ملازمة الإخلاص والطهارة من الشرك بنوعية الجلي والخفي... وكذلك من سائر الأخلاق الذميمة بالكبر والحسد وحب الدنيا وهذا ما لا يسع المسلم الإخلال به أو التهاون فيه، وإلا كان القرآن حجة عليه لا له

---

(١) صخاب: وهو من الضجه واضراب الاصوات للصخام المعجم الوسيط ١/ ٥٠٨ مادة: صخب.

(٢) أخرجه أبو طميم ١/ ١٢٩ التبيان/ للأمام النووي ص٥٧.

(٣) ينظر أخلاق حملة القرآن ص ٣٩- ٤٠ كيف نتعامل مع القرآن ص ١٦.

وربما لعن نفسه وهو يقرأ ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1] أو كان كاذباً ويقرأ ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2].

ب- التحلي بالآداب الفاضلة والأخلاق الحسنة والترفع عما يشين منها وذلك بأخذ نفسه وترويضها على الحلم والتواضع والعقود وكظم الغيظ[3]. والإحسان إلى المسيء وإذا أراد أخذ حقه ممن اساء إليه فلا بد أن يأخذ على الوجه الشرعي بلا زيادة فلا لوم عليه ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...﴾[4] وقال ﷻ أيضاً ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾[5]. ولكن الترقي إلى مقام الصفوة والمسامحة وأخذ النص مكن الأمم السابقة أفضل ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[6]. فإن هذا الترقي يوصل صاحبها إلى مقام الإحسان والتأسيس بالنبي ﷺ حيث كان يعفو عمن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه وعلى سنته كان لاتقياء من سلف هذه الأمة سائرون ومهتدون ومما يروى عن مجون بن مهران[7] -رحمه الله-: أن جاريته جاءت ذات يوم بصحيفة وفيها

---

(١) سورة هود آية ١٨.

(٢) سورة آل عمران آية ٦١.

(٣) جاء في الصحيح عن النبي ﷺ ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب. أخرجه الإمام البخاري برقم ٦١١٤ في كتاب الأدب ١٠/ ٥١٨ .

(٤) سورة البقرة آية ١٩٤.

(٥) سورة النحل من الآية ١٢٦.

(٦) سورة النحل: من الآية ١٢٦.

(٧) هو ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب أصله كوفي نزل الرقة ثقة فقيه ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز ت ١١٧هـ. ينظر التقريب ٥٥٦.

مرقة حارة وعنده أضياف فعثرت فصبت المرقة عليه فأراد أن يضربها فقالت الجارية: يا مولاي استعمل قول الله تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾[1]. قال لها: قد فعلت فقالت: أعمل ما بعده ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[2] فقال: قد عفوت عنك. فقالت الجارية: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3] قال محجون: قد احسنت إليك فأنت حرة لوجه الله ﷻ.

القسم الثاني: عمل متعمد: وهو إيصال الخير إلى الغير أي الدعوة والتذكير من أجل رد الناس إلى الله تعالى وحثهم على العمل بالقرآن إذ ليس العلم مقتصراً على تطبيق أحكامه على النفس والاجتهاد في اصلاحها وتهذيبها قال الله ﷻ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4]. وقال أيضاً ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾[5] وقال ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[6] ومن الصحيح عن النبي ﷺ (بلغوا عني ولو آية)[7].

ولكن ينبغي التنبيه إلى أن هذا النوع من العمل ترتب على ذلك ومتوقف عليه ضمن ولم يحسن إلى الأول فلا خير له في إحسان الثاني فليس من العقل من الدين أن يكون المسلم كالشمعة يضيء للآخرين ويحرق نفسه وإنما ينبغي أن يكـ ن

---

(١)آل عمران: من الآية ١٣٤.

(٢)آل عمران: من الآية ١٣٤.

(٣)آل عمران: من الآية ١٣٤.

(٤) سورة النحل آية ١٢٥.

(٥) سورة الشورى آية ١٥.

(٦) سورة الذاريات آية ٥٥ .

(٧) أخرجه البخاري برقم ٣٢٦١. كتاب أحاديث الأنبياء ٦/ ٤٩٦.

نوراً يضيء للآخرين بعد إضاءته لنفسه وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[1]

وقوله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[2].

وجاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (يؤتى بالرجال يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى، كنت أمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه)[3].

---

(١) سورة البقرة آية ٤٤.

(٢) سورة الصف آية ٢ – ٣.

(٣) متفق عليه من حديث أسامة ﷺ أخرجه مسلم برقم ٢٩٨٩ كتاب الزهد والرقائق ج / ٤/ ٢٢٩١ والبخاري برقم ٧٠٩٨ في كتاب الفتن التي تموج كموج البحر ١٣/ ٤٨.

الخاتمة

فإن من الذي توصلنا إليه في هذا البحث كيف نفهم ونتعامل مع القرآن الكريم وكيف السبيل إلى تحقيق الفهم الصحيح وكل ما تحتاجه هو إمعان العقل والتفكر والتدبر في مراد الله سبحانه أثناء تلاوته لهذا الكتاب العظيم ولكي يتحقق لنا هذا فأننا نحتاج إلى ما يلي:

أولاً: الصدق فيما نقصده.

ثانياً: استخدام المصادر التفسيرية المبسطة التي تعطي لنا المعنى الرقيق.

ثالثاً: لا بد من الاستعانة بذوي الاختصاص لأنهم يدركون عظمة هذا الكتاب العظيم في إعجازه وأغراضه فيقودنا إلى الفهم الصحيح.

رابعاً: وبعد الفهم لا بد من العمل. إذ لا فائدة من القراءة من غير عمل.

خامساً: التعامل مع القرآن يكون قاعدة "منهج التلقي لتنفيذ" ومن خلال هذه الالتقاط نخرج بنتيجة عظيمة نرى ثمارها في أيامنا القادمة. أقيموا دولة الإيمان في نفوسكم تقم على أرضكم واخير فلا بد من أن نعلم أن الكمال لله وحده ولكتابه ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد في الأولى والآخرة

---

(١) النساء: من الآية٨٢.

فهرس أهم المراجع

١. الإتقان في علوم القرآن: الأمام جلال الدين السيوطي/ ت ٩١١/ المكتبة الثقافية/ بيروت.

٢. إحياء علوم الدين: للأمام أبو حامد الغزالي/ ت ٥٠٥/ بيروت.

٣. إخلاف حملة القرآن: للإمام أبي بكر الاجري/ ت ٣٦٠/ تحقيق فواز أحمد/ ط١/ دار الكتاب العربي/ بيروت.

٤. الأساس في التفسير: للشيخ سعيد حوي –رحمه الله/ مطبعة دار السلام.

٥. البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين الشركسي/ تحقيق محمد أبو الفضل/ دار الفكر/ بيروت.

٦. تاريخ بغداد أو مدينة السلام: للإمام أبي بكر بن علي الخطيب البغدادي.

٧. التبيان في آداب حملة القرآن: للإمام شرف الدين النووي/ تحقيق الأرناؤط/ دار العروبة/ الكويت.

٨. تحفة الأحوذي بشرح جامع النووي: للإمام الحافظ أبي العلى محمد بن عبد الرحمن/ مطبعة الاعتماد.

٩. التذكار في أفضل الأذكار: للإمام أبي عبد الله القرطبي/ ت ٦٧٢/ تحقيق فواز أحمد/ ط١/ بيروت.

١٠. جامع البيان عن تأويل في القرآن: للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري/ ت ٣١٠هـ دار المعارف الإسلامية.

١١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله/ بيروت.

١٢.قادة الغرب يقولون: جلال العالم – المركز الاسلامي/ باكستان ط٢ ١٩٧٥.

١٣.الرسالة: الإمام محمد بن إدريسس الشافعي ت ٢٠٤هـ تحقيق أحمد محمد شاكر/ التراث/ القاهرة ١٩٧٩.

١٤.روح المعاني في تفسير القرآن: الإمام أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي/ إحياء التراث/ بيروت.

١٥.سنن ابن ماجه: الإمام الحافظ محمد بن يزيد القزويني– تحقيق محمد فؤاد/ إحياء التراث– بيروت.

١٦.سنن أبي داود: الإمام الحافظ سليمان بن الاشعث السجستاني.

١٧.شعب الإيمان: الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ.

١٨.صحيح البخاري: الإمام محمد بن اسماعيل البخاري ٢٦٥هـ مع شرحه فتح الباري لابن حجر ت ٨٥٢هـ.

١٩.فضائل القرآن: الإمام ابن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ تحقيق سعيد عبد الحميد/ دار الحديث.

٢٠.كيف نتعامل مع القرآن: الأستاذ عمر عبيد حسنه.

٢١.كيف يتلقى القرآن: الأستاذ عامر السيد عثمان – دمشق.

٢٢.الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: الإمام أبي عبذد الحق الأندلسي ت ٥٤٦هـ مؤسسة دار العلوم– قطر.

٢٣.المعجم الكبير: الحافظ أبي القاسم سليمان الطبراني ت ٣٦٠هـ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي– دار إحياء التراث.

٢٤. المعجم الوسيط. إحياء التراث الاسلامي – قطر.

٢٥. الموافقات: الأمام إبراهيم بن مؤسى المسالكي ٧٩٠هـ دار المعرفة– بيروت.

٢٦. معالم في الطريق: الشهيد سيد قطب– مطبعة دار النذير– بغداد.

٢٧. واقعنا النعاصر: الاستاذ محمد قطب دار الوفاء ط٣ .

٢٨. النبأ العظيم: الاستاذ عبد الله دراز– بيروت.